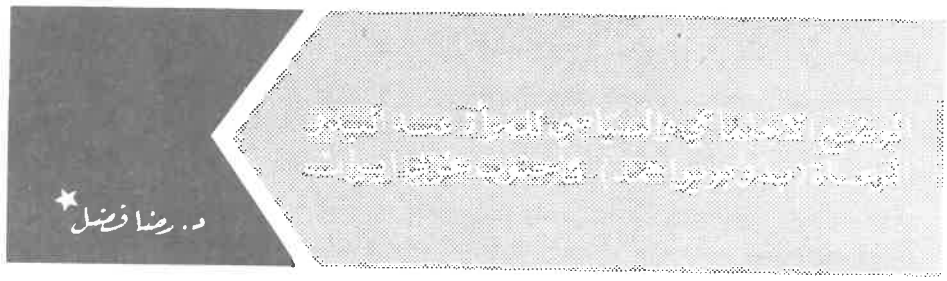

د. رضا فضل ★

ان معظم الدراسات التي جرت حول المجتمعات الرعوية في الشرق الاوسط كانت لا تبحث في الدور الاجتماعي والسياسي الذي تلعبه المرأة هناك او تظهر فهما قليلا للموضوع . فباستخدام حقائق علمية مقارنة يعنى هذا البحث بدراسة الاستراتيجيات التي تتبعها المرأة في ممارسة القوة والنفوذ في عملية اتخاذ القرارات على جميع المستويات في مجتمع يبدو وان سيطرة الرجل تسوده . وتعتبر مكانة المرأة هنا في علاقات الانتاج والتوزيع والتصرف بالملكية دعامة قوتها السياسية . ويبين هذا البحث ايضا المعضلات الهيكلية والتناقضات التي نجمت عن تقارن عوامل : تعدد الزوجات وغياب قوانين واضحة تحدد الخلافة والزواج الخارجي ، مما اتاح للمرأة دخول المسرح السياسي . واخيرا يستكشف البحث تأثير عمليات التحديث الاخيرة على مكانة المرأة التقليدية .

فلقد اولى طلاب دراسات البدو في الشرق الاوسط اهتماما غير كاف بمركز المرأة في هذه المجتمعات . ويميل الاثنوغرافيون الذين تشكل اغلبيتهم الساحقة عنصر الذكور الى الاعتقاد بأنه في المجتمعات التي يسودها الفصل التام بين مجالات نشاط الذكور والاناث لا يمكن اختراق ما وراء المظاهر السطحية لعالم المرأة (٢) . وبينما يبدو جليا ان هذا التردد في الاغفال عن جزء من المجتمع والتركيز على عالم الرجل ، الذي يسهل الوصول اليه ، له مبرراته من العوائق الثقافية ، لكن لا يمكن صرف النظر عن تأثيراته المفاهيمية والمنهجية بهذه السهولة .

كما اوضحت سنثيا نلسون (١٩٧٣ : ٤٦ — ٤٧) Cynthia Nelson اخيرا ان ما يشترك فيه هؤلاء الاتنوغرافيون «وهو فهمهم للمجتمعات البدوية في

★ استاذ علم الاجتماع بجامعة رضا شاه كبير بايران

الشرق الاوسط على انها مبنية على اساس عالمين اجتماعيين منفصلين : مجال النشاط الخاص في الخيمة Private Sphere (عالم المراة) ومجال النشاط العام في المخيم Public Sphere (عالم الرجل) . والافتراض السائد وراء هذه النظرة للمجتمعات البدوية هو ان الخيمة تمثل مجال الحياة البيئية فقط، أما المخيم فهو ميدان النشاطات السياسية ، وان المراة لا تلعب دورا رسميا في النشاط السياسي . » وتضيف السيدة نلسون متسائلة « ماذا يعني كل من التفريق بين عالمين اجتماعيين والجدال في ان النشاط السياسي الوحيد هو مجال النشاط العام للرجال ؟ وما هو الاهتمام الذي اولاه الاتنوغرافيون الى الاساليب التي تتبعها المراة للتأثير على السياسة العامة ؟»

أما رغبة السيدة نلسون في الخروج عن اسلوب النظر التقليدي في دراسة مجتمعات الشرق الاوسط من وجهة نظر الرجال فهي ليست مجرد رد فعل انفرادي فريد من نوعه . فقد عبر ، ومنذ فترة ليست ببعيدة عدد متزايد من العلماء معظمهم من النساء ، عن عدم رضاهم عن بعض التفسيرات المعيارية عن دور المراة ، خاصة في المجتمعات التي يسيطر عليها الرجل وقد تطور النقد الى اقتراحات تطالب باستخدام نماذج اخرى نماذج اوسع واكبر لكي يتسنى من خلالها ادراك وعلى نحو واف المجالات التي تمارس فيها المراة قوتها ونفوذها . وعلى سبيل المثال تدعم ارنستيني فريدل Arnestine Friedl نقاشها بدراسة اجرتها عن قرية يونانية (١٩٦٧ — ٩٧) وتقول ان في مقدور المراة في « القطاع الخاص » في هذا المجتمع ان تؤثر على القرارات السياسية والاقتصادية « وراء واجهة هيمنة الرجال في القطاع العام » . وفي رأيها فان الميدان الخاص Private domain للعائلة وليس العام هو الذي يستطيع الكشف عن « الى من تنسب اليهم القوة نسبيا من الذكور والاناث في اغلبية المجتمعات ».

وبينما يبدو ان ب. اسود (١٩٦٧) وبي . شيناس (١٩٧٣) يؤكدا على دور المراة غير الرسمي في التأثير على القرارات السياسية فان صفية محسن (١٩٦٧ : ١٥٤) تنظر في تحليلها لمركز المراة بين اولاد علي « الى المشاركة في الشئون العامة للمجتمع كدليل قياسي واحد فقط للمركز السياسي للفرد » .. اما الدليل الاخر فهو الحقوق الشرعية الممنوحة للمراة والتي بواسطتها تستطيع ان تؤثر في عملية صنع القرارات السياسية » .

وسأعتمد في وصفي مكانة المراة عند بدو « بوير احمد » الرعويين (٣) على بعض الافكار والنماذج المفاهيمية التي تمثل بها العلماء الانفو الذكر ونظرا لضيق مجال هذا البحث فسأحاول ان اركز النظر على النواحي التقليدية التي مارست فيها المراة قوتها . وساخذ ايضا بعين الاعتبار الاستراتيجيات التي بواسطتها تؤثر المراة في النشاطات السياسية والنتائج في ما يسمى بالميدان

العام بدون ان تلعب اي دور في سياسات القبيلة . وفي القسم الاخير من هذا البحث سانتاول نقاش التأثير المميز للتغيرات الاجتماعية والسياسية الاخيرة على المراة القبلية . ويعطي هذا البحث اهمية رئيسة لدور المراة في عملية تنظيم الانتاج في الاقتصاد الرعوى .

اولا : بعض الملاحظات الموجزة عن الجغرافية والناس : يبلغ عدد سكان بوير احمد حوالي ١٢٠.٠٠٠ نسمة وهم احدى قبائل الشيعة المسلمين الست الذين يتكلمون لهجة « لورى » (القريبة من الفارسية) ويقطنون اراضي مجاورة في « كوجيلوية » وهي مقاطعة ادارية في جنوب غربي ايران . وتتميز هذه المنطقة الواقعة على طول جبال زاغروس والتي تغطي رقعة جغرافية مساحتها اكثر من ١٥٠٠٠ كم٢ بفوارق طبيعية شديدة . وبغض النظر عن بعض الفوارق الثانوية فقد ادى التجاوب والتكيف الانساني مع ظروف البيئة العامة الى خلق تشابهات تنظيمية وثقافية جوهرية .

فقبيلة او « عيل » بوير احمد BOYR AHMADI تتكون من عمرات Subtribes او « طيرهز » Tireh تختلف نسبيا واقليميا . اما تركيب كل « طيرة » فهو عبارة عن تحالف مجموعات قرابة محلية او « اولاد » Oulads والذين يتتبعون اصلهم ونسبهم عن طريق الاباء Patrilineally الى عدة اسلاف ويعتبرون كل « ولد » منحدرا من احد هؤلاء الاسلاف ويحمل اسمه .

المراة في القطاع الخاص Women in Private Domain : مثاليا تتكون الوحدة الاجتماعية والاقتصادية الاساسية من اسرة تعيش في خيمة ، من الرجل وامراته واطفاله وقطيع من الخرفان والماعز يتراوح معدل عددها بين ٣٥ — ٤٠ راسا. لكن ما شوش هذا التجانس الظاهري هو ان في كل مخيم (عادة ٤ — ٨ خيمة) هناك اسر لا تملك الكثير او اي من المواشى ما يربطها مع الاسر التي تملك قطعانا كبيرا واتفاقيات عمل تعاقدية مختلفة .

وبالرغم من ان الرجل كرب للاسرة يحتفظ رسميا بحق ملكية القطيع الا ان قضية الملكية عمليا هي اكثر تعقيدا ويمكن فهمها على احسن وجه بعد الاخذ بعين الاعتبار الدورة التطورية التي تمر بها الاسرة البدوية . علاوة على الدواب التي في كثير من الاحيان ما تمنح ، كليا او جزئيا ، من قبل الاقارب لاستعمالها كمهر عند الزواج فان الرجل يحصل عند زواجه على جزء من قطيع العائلة « كارث متقدم » . cf. Barth 1961: 19 وهذه الحيوانات تشكل الجزء الهام في راس المال الانتاجي للاسرة الجديدة لكنها تبقى في ميدان مقصور على المراة . فالتقسيم الكامل للعمل يمنع الذكور من بدو بوير احمد من المشاركة في الواجبات الادارية والاستغلالية في الاقتصاد الرعوي . اما النشاط الزراعي وهو غالبا فلاحة القمح والشعير فبقى من ناحية اخرى مهنة للرجل بالرغم من

انه في حالة نقص اليد العاملة يقتضى على المراة وحتى الاطفال الصغار ان يمدوا يد العون في مرحلة الذرى والدرس . وجميع قبائل « كوجيلوية » الست والتي يبلغ عدد سكانها معا حوالي ٢٥٠.٠٠٠ نسمة تعرض نفس النمط التنظيمي . (٤) وهذا يناقض بشدة تعميم مارتين وفوريس . والذي يقول « .. ان المراة لا تساهم الا بالقليل في انتاج غذاء الرعاة » . وانه « اذا قارنا بوجه عام مشاركة المراة في الانتاج نجدها ضئيلة عند الرعاة » .

واهم من ذلك فان دور المراة في الاقتصاد البيتي يعنى دورا فعالا في عملية اتخاذ القرارات والتي تشمل : ادارة القطيع ، توزيع المهمات على اليد العاملة والاشراف عليها (سيناقش ذلك في الجزء التالي) وبيع الفائض الرعوي والزراعي مع ان معظم هذه الصفقات يقوم بها الرجل ، وتخصيص الاموال لشراء السلع السوقية المختلفة. اما المراة فلها الى حد كبير حق التصرف بالنقدالذي تحصل عليه من بيع انتاجها الحرفي كالسجاد والبطانيات واعدال الخرج والحبال وقماش الخيم والاوعية الجلدية والصوف الممشط وخيوط الصوف على ذكر القليل منها . اما الربح فتشترى به الضروريات مثل الشاي والسكر والقماش والتبغ وقليلا ما تشتري قطعة من الحلى الذهبية لها او لبناتها .

وعند ولادة الابن الاول يتم توزيع القطيع نظريا ويخصص لكل عضو في الاسرة نصيب متساو لكن كما هو متوقع لا يؤثر على سيطرة المراة على القطيع حيث انها تعمل الان كوصية على ارث ابنها المتوقع . وينبغي ان يقلل من اهمية هذا الدور بالنسبة للابن لان نوعية وكمية ارثه بالذات عندما يبلغ سن الزواج (٥) وهي التي تمكنه من تكوين اسرة جديدة وفي الواقع الزواج نفسه . وحيث يعبر زواجه عن استقلاليته الرمزية او الحقيقية عن العائلة التي ولد فيها وذلك ببلوغ سن الرشد الاجتماعي فان اعتماد الرجل على والدته امر لا لبس فيه ، هذا من ناحية ، وعدم استقلاليته تتمثل في موقف يتسم بالطاعة والاحترام والمحبة . اما من الناحية الاخرى ، ففي حالة بقاء نوعية وكمية القطيع دون المستوى الاقصى بسبب ادارة الام السيئة فان مسئولية عزوبية الرجل تتحمله امه . وكما سنرى فيما بعد فان الام كذلك هي الملومة في حالة فشله سياسيا .

ونظريا تمنح قوانين الارث الاسلامية الانثى نصف ما تمنحه للذكر . لكن هذا المبدأ لا يطبق تطبيقا شاملا ولا يتمسك به بانتظام مجتمع معين . وعند بدو بوير احمد على سبيل المثال يتظاهر السادات Sadaat وهم الذين يزعمون انهم من سلالة النبي محمد ، بانهم يتقيدون بتلك القاعدة بينما يتجاهلها كل بقية افراد ذلك المجتمع . وعندما يطلب منهم تعليل ذلك يجادلون بان المراة عند زواجها تحصل على مهرها على شكل جهاز العروس والاواني المنزلية والحلي والتي تحتفظ بها في حالة طلاقها علاوة على مهرها المتأخر .

اما وراثة الارض فهي مختلفة جدا ونموذج السكنى مع اهل الزوج بعد

الزواج Virilocal residence Pattern حتى في المجتمعات التي تشتهر بالزواج الداخلي تجعل من وراثة الارض للانثى امرا صعبا ان لم يكن مستحيلا . لكن نساء بدو بوير احمد يحتفظن بحقهن في الحصول على حصص متراوحة من محصول الارض . وحتى اذا اعتبرنا ذلك جورا فانه من الخطأ الاعتقاد ان الوراثة الرسمية للملكية او حتى المناصب امرا مرادفا او شرطا اساسيا لقوة اتخاذ القرارات (٦) . وفي اعتقادي ان تلك النقطة فاتت في كثير من الحالات ادراك طلاب علم المجتمعات الاسلامية .

وكما اقترحنا سابقا يمكن الحصول على صورة اصح لمكانة المرأة في المجتمعات الرعوية في الشرق الاوسط عندما نعطى المجال الرسمي وغيرالرسمي Formal & Informal Spheres اعتبارات متساوية . ويبدو ان المهمة التالية ستكون ايضاح الروابط « ونقاط التلاقي » بين المجالين . وفي السياق الحاضر ينبغي ان نعالج قضية تحويل المقومات الهيكلية للميدان غير الرسمي ــ الخاص Informal Private Domain الى المقومات الهيكلية للميدان الرسمي العام Formal Public Domain اي كيف تبسط المرأة من بدو بوير احمد قوتها وسلطتها الى ما وراء حدود الميدان الخاص ؟

المرأة في القطاع العام Women in Public domain

ينطوي التنظيم الاجتماعي في مخيم بوير احمد على نمطين من العلاقات ذوات دعم متبادل : روابط القرابة وعلاقات العمل . ينجلي الاول في مبدأ القرابة عن طريق الذكور agnatic descent والآخر والذي له صلة اكبر بنقاشاتنا ، من خلال الروابط التعاقدية بين مالكي القطعان ، الكبيرة واولئك الذين يملكون قطعانا . وبما ان النساء هن اللائي يعنين بتنظيم الانتاج الرعوي فهن ايضا الذين يقع على عاتقهن مسئولية اتخاذ القرارات بشأن الحاجة الى استخدام يد عاملة اضافية . وتشترك المرأة ايضا في المفاوضات حول مدة العقد وكمية التعويض العيني وبالرغم من انه عادة ما تستخدم عائلة كاملة من ضمن « اولاد » OULAD الشخص الا ان الحالة في الواقع يمكن تسميتها علاقة صاحب عمل ــ عميل ازدواجية بين امراتين . ولكن بصرف النظر عن مدى القرابة الحقيقي فان الروابط الاقتصادية والولاء السياسي المنبثق عنه تظهر عامة بصورة التزام قرابي ثنائي ومتبادل بالتناوب .

وعلى مستوى اعلى من التنظيم ادى التحام المصالح المشتركة والخوف الشديد من فقدان الحيوانات او النقص في التغذية الى نوع من التضامن بين نساء المخيم . اما القرارات التي تهم المخيم بأجمعه فيأخذها مجلس غير محكم التنظيم يتكون من معظم الرجال الحاضرين . يتهيأ للملاحظ ان تلك هي الهيئة الوحيدة المسئولة عن اتخاذ القرارات وطبعا يسارع الرجال انفسهم في تأكيد ذلك ومما يثير الاهتمام أن النساء اذا سئلن عن ذلك فلا يترددن في تصديق

الفكرة المثالية الثقافية القائلة ان الرجل فقط يتمتع بالقوة والسلطة في تلك الامور . ومع ذلك واذا لم تتملكنا الدهشة ازاء المعالم الشكلية كما يسمى « بالمجتمع الذي يسيطر عليه الرجل » سنجد عاجلا انه عمليا يختلف عن الواقع نوعا ما بما يختلف اختلافا شديدا في بعض الاحيان .

ولايضاح هذه النقطة نستعرض عملية اتخاذ القرارات التي تحدد موعد هجرة الربيع الى الجبال العالية . ولهذا الموعد اهمية اجتماعية واقتصادية وسياسية عظيمة cf. Barth 1959 فبعد استشارة كبار المخيم نائب زعيم المخيم بالتقريب عن جدول مواعيد الهجرة لكي يتبعه « الاولاد » المختلفون . ولكن لكل مخيم الحق في تحديد يوم الرحيل عن مكان الاقامة الشتوى وفقا لعدد من العوامل الداخلية ، مثلا : أ — كمية الكلأ والماء المتوفرة في المناطق المتاخمة وكمية الموارد التي يمكن ادخارها للخريف عند رجوعهم الى ذلك الموقع ، عادة قبل بداية هطول الامطار . ب — الظروف الطبيعية للقطعان — اذا كانت صحة الحيوانات رديئة فلا تقدر على تحمل مشقة الهجرة . جـ — تواجد ثلاثة اسر — خيم على الاقل لضمان حماية المواشي من السرقة . د — وجود حد ادنى من اليد العاملة لكل قطيع . هـ — عدد كاف من الدواب : الحمير والبغال لنقل الخيم وتوابعها واكياس الحبوب . و — موارد استهلاكية كافية ينبغي شراؤها قبل الرحيل . ز — رحيل ميمون يحدده رجل ديني متجول .

في الواقع جميع العوامل السابقة الذكر لها صلة مباشرة او غير مباشرة برأس المال الانتاجي اي القطيع والاشكال الاخرى للاقتصاد البيتي حيث تتمتع المراة تقليديا بقسط كبير من السيطرة بحكم خبرتها ان لم يكن بحكم عوامل اخرى وبصرف النظر عن القواعد الشكلية لعملية اتخاذ قرار ما او للعوائق السياسية الخارجية فانه ينبغي على المراة في النهاية ان تؤيد مثل ذلك القرار . والرجال بحكم تفهمهم لهذا الواقع نادرا ما يتدخلون في مناقشة عامة لشئون تخص الراسمال الانتاجي او تخصيص الموارد لاغراض معينة الا بعد ان يكونوا على علم برأي النساء . وفي بعض الاحيان تجري نقاشات غير ناضجة تفقد فعاليتها في اغلبية الحالات ولا ينتج عنها قرارات هامة ، وبالذات حين يناقش الرجال بعض الامور تشكل النساء مجلسا خاصا بهن ، ويقرب من مجلس الرجال ويبدون اراءهن بشكل واضح وعلى مسمع من الرجال .

هذا كله يشير الى شبكة اتصال معقدة تشارك من خلالها المراة واحيانا تتلاعب بالمعلومات بغرض التأثير على قرار ما . وتحصل المراة على المعلومات من زوجها ومن البائعين المتجولين ورجال الدين المستجدين وممارسي السحر والزائرين من الاقرباء ووكلاء الدولة واخرين .

وطريق المراة اليومي الى بئر او ينبوع المياه يتيح لها فرصة التبادل مع نساء المخيمات المجاورة ليس فقط القيل والقال بل احيانا معلومات هامة على سبيل المثال عن حادث ذي اهمية سياسية كبرى كحلف زواج سيتم قريبا بين حزبين .

ويتبين مدى اغفال التدقيق في هذا النموذج المميز للتواقف المعقد في المجتمعات البدوية من التعليق التالي لبارث Barth « ان الاستقلالية والكفاءة الذاتية للاسرة البدوية التي بواسطتها تحافظ على كيانها في اطار العلاقات الاقتصادية مع سوق خارجي وفي عزلة تامة عن البدو الاخرين لهي امر يلفت النظر واحد المعالم الاساسية للتنظيم الباصري (Basseri 1961:21)

ولا احتاج أن اذكر حقيقة ان السوق الخارجي وهو الميدان الخاص بالرجل هو امر مسلم به . لكن تركيز « بارث » غير المتكافيء على الدور الاقتصادي للرجل الباصري يبدو وانه يكشف الفهم غير الوافي لدور المراة الاقتصادي والذي يبطل بدوره قوة حجة نظرية التوطين الخاصة به ولقد اقام نموذجا مزدوجا ومزدوج الركيزة والذي يتبين فيه ان الاغنياء والفقراء جدا من رجال قبيلة الباصري مرغمون على التوطن . والتجنب « سرقة » الحيوانات وسوء الادارة من قبل الرعاة المأجورين ، حسب قول بارث ، يعمل ملاك القطعان الكبيرة تدريجيا على تحويل ثروته الرعوية الى ملكية ارض ويتوطن في النهاية في جماعة مستوطنة كمالك صغير . أما الفقير من ناحية اخرى فيعمل جادا على زيادة مورد رزقه الرعوى بواسطة العمل بأجر في جماعات المستوطنين مما يؤدي الى اهماله لقطيعه الصغير وبالتالي الى استقراره الدائم المحتوم .

وفضلا عن الاعتراضات الاخرى التي اثرناها في بحث اخر (٧) ، يغفل نموذج التوطن هذا والمسلم به بوجه عام اعتبار عامل هام وهو المراة . فاذا تفهمنا وظائف المراة الادارية والاستغلالية عند البدو بشكل واف فان يجدي في تلك الحالة ربط « التعديات » المنهجية على الثروة الرعوية مع سعي الرجل وراء فرص اقتصادية اخرى . وعلى وجه الدقة فان سيطرة المراة على القطاع الرعوى هي التي تضاعف من جدوى سعي الرجل وراء مورد الرزق الزراعي ، العمل بالاجر والدخول في نشاط تجاري محدود من ناحية اقتصادية ونفسية على السواء . أما النشاط التجاري فيملي على الرجل التغيب من المخيم لمدد تتراوح بين بضعة ايام وشهر واحد تقريبا .

أما بالنسبة لبدو بوير احمد فان هذه الفرص المتوفرة للرجل هي حديثة العهد نسبيا . فحتى قبل عقود قليلة كان البدوي يحصل على المنتجات الزراعية مثلا عن طريق المقايضة او اكثر شيوعا عن طريق شن الغزوات على القبائل

المجاورة . أما القسم الاكبر من الكربو هيدرات في غذاء البدو فكان يستخرج من جوز البلوط الذي كانت تجمعه المرأة في اشهر الصيف وتحولة الى نوع من الخبز متبعة بذلك عملية ترشيح معقدة لاستخراج حامض التنيك منه . ومع ان هذه المهمة لا تحتل الان مكانة هامة في اقتصاد البدو الا ان جمع وتحويل جوز البلوط لا يزال يملأ قسطا كبيرا من وقت المرأة . أما الرجل بوجه عام فيشغل القسط الاكبر من وقته بالسياسة القبلية او مجرد التحدث عنها . والاستماع الى القاء ملاحم الفردوسي الشعرية لا زال تسلية مفضلة . وفي التقارير الاتنوغرافية عن البدو الرعويين نقرأ في كثير من الاحيان تعليقات عرضية عن « كسل » الرجل النسبي ولكن نادرا ما يراعى بجدية التأثير السياسي والاقتصادي لهذا «الكسل» على المرأة . والرواة من بدو بوير أحمد يتذكرون جيدا الفترات الطويلة التي كان يغيب فيها قسم كبير من رجال القبيلة عن اسرهم بسبب النزاعات في داخل القبيلة وبين القبائل ، فتولت المرأة ليس فقط شئون القطيع والمهمات البيئية الاخرى بل لعبت دورا بارزا في الدفاع عن مجتمعها الذي تعيش فيه .

وفي اعتقادي ان لهذه النقطة اذا اعتبرنا هذا التحرر بالذات من معظم الاعمال اليومية المنزلية (ولذلك ربما انطباع الكسل) ، هو الذي مكن الرجل من بدو بوير أحمد من السيطرة على الحقل السياسي الواسع. أما اليوم وفي ظل الشعور العام بالامن نتيجة لمنع الحكومة للثأر والغزو نجد الرجل دائما في حالة تنقل دائم اما لزيارة الاقرباء او للسفر الى اسواق المدينة لانهاء معاملاته التجارية او الروتينية بعيدا عن هموم قطيع العائلة . بينما نجد ان ظروف وواجبات المرأة البيئية لا تسمح لها بمغادرة المخيم باستثناء الرحلات القصيرة لجلب الماء . وبالتالي فان الرجل هو قناة الاتصال الوحيدة مع العالم الخارجي ولكن كما ذكرنا ليست القناة الوحيدة .

القوة والمركز الاجتماعي Power & Social Rank

هناك نقطة هامة تتعلق بالمرأة في المجتمعات الرعوية وقد اهملها للاسف الباحثون في هذا المضمار وهي فارق القوة والسلطة المتناسبة مع المركز الاجتماعي . وبينما اوليت ابعاد مركز ووضع الرجل كقاعدة دراسة دقيقة ثمة الاشارة ضمنيا وبشكل غير واضح لمركز المرأة .

فالنقطة التالية التي تستحق عناية خاصة لذلك هي قوة المرأة وسيطرتها كمظهر من مظاهر المركز الاجتماعي . وسيكون هدفنا الرئيسي هنا هو التعرف على الاساس او الاستراتيجيات التي تمارس من خلالها المرأة في الطبقات القيادية القوة ، وتؤثر على القرارات وتشارك التحزبات وتشكل الاحلاف لتحقيق اغراض سياسية معينة .

ومن الواضح ان هذا الوجه لوضع المرأة في مجتمع بوير احمد ينبغي ان

يعالج نطاق البنية القيادية الرسمية . وسأبدأ بمناقشة بيانين هامين : اولا ، كون المرأة لا يحق لها خلافة المنصب لا يعني انها تشكل شريحة حيادية سياسيا في المجتمع . ثانيا ، ان هناك ارتباطا وثيقا او اتفاق بين قوة الرجل وسلطته على جميع مستويات التنظيم القبلي مع قوة وسلطة زوجته او زوجاته . ولكن سأتعجل لاضيف ان دلائل القوة لا تشير دائما الى المرأة ، او هي ربما علاقة ثنائية الاتجاه تتضمن الاعتماد المتبادل او ربما تشير الى الرجل اي الى الزوجة او الام التي هي المصدر الذي يستمد منه الرجل قوته .

المرأة في التركيب الهرمي السياسي Women in the Political Hierorchy

برأس مخيم بوير احمد الـ « ريشصافد » Rishsafid الشيخ ذو اللحية البيضاء وهو رجل محترم زعامته ليست رسمية او وراثية بل تعتمد اساسا على ثلاثة عوامل متبادلة العلاقة وهي : روابط القرابة ، خصائص شخصية ومصادر قوة خارجية . وهو يؤدي وظائف مختلفة مثل : مهيء للوفاق الجماعي، وسيط في الخلافات ، منسق لعمل ونشاط الجماعة ، متحدث واداة للاتصال بين المخيم والمستويات العليا للتركيب الهرمي السياسي .

أما زوجة قائد المخيم فستخدم قوة ونفوذا متكافئين (مع قوة زوجها) تجاه نساء المخيم . وهي وسيطة ومهيئة للوفاق الجماعي بحكم ذاتها وتتمتع بقدر عال من الاحترام والهيبة . وتستشيرها النساء الاخريات في امور شتى لقدرتها على التأثير على زوجها رئيس المخيم ، وبحكم تلك الوظائف التي تؤديها فيمكن اعتبارها كنظير مؤنث لرئيس المخيم .

وسياسة بوير احمد تعتمد على احلاف الزواج بين المتكافئين بالمركز وفي قليل من الاحيان مع ذوي المركز الاعلى . وهدف هذا النوع من الزواج ، كما اود ان اوضح تدريجيا ، هو الفرد بشكل رئيسي وجماعة « الاولاد » بشكل ثانوي . وحيث ان معظم زيجات القادة هي خارجية ففي كثير من الاحيان نجد ان زوجة القائد هي المحرك الوحيد لقوته الخارجية ، وبقدر اكبر من ذلك طبعا في حالة الزواج من امراة ذات مكانة اجتماعية ارفع (من مكانة الرجل) .

فقائد المخيم الذي اوليته بعض العناية في دراستي الحقلية كان قد تزوج اختا غير شقيقة لاحد الزعماء الثانويين للقبيلة ومن الواضح ان الاخير ارفع مكانة وبالطبع فان هذا الزواج ذو فائدة متبادلة . فبينما يوسع هذا الزواج من قاعدة الدعم السياسي للزعيم الثانوي من عامة الناس فهو يرفع بالتأكيد ليس فقط من منزلة وقوة قائد المخيم بل جماعة « الاولاد » كلها . وفي ظل هذه الظروف فان مكانة ونفوذ وقوة الزوجة في داخل وخارج المخيم تطغى على مكانة ونفوذ وقوة زوجها الاقل شأنا اجتماعيا .

سواء كانت روابط الزواج افقية ام عامودية فينبغي ان نتذكر ان المراة في مجتمع بوير احمد هي ليست متاعا سلبيا «يتبادل» و «يتداول». ولا ينبغي ان يقودنا ذلك الى الظن ان الزواج في حد ذاته سيقود تلقائيا الى تطـــوير العلاقات الطيبة او تجديد وتقوية الروابط السياسية . ففي اعتقادي ان ضعف معظم النقاشات الجدلية الوظيفية Bark 1954, Murphy a.K. 1959 حول قضية الزواج من ابنة العم في الشرق الاوسط ترجع الى اغفال اهمية ابن العم ككيان اجتماعي وسياسي . وبذلك لم يف هـــؤلاء الباحثون بالاجـــابة على السؤال : كيف يدعم حلف الزواج او ينقضي ؟

وبالنسبة لبدو بوير احمد فالعنصر الاساسي في معادلة الحلف هـــو ليـــس الزواج بحد ذاته بل المراة التي تقوم بدور الحافز فيه . فشخصيتها وطموحاتها ، فشلها وولاؤها هي من بين الاشياء الاخرى التي تحدد اساسا في النهاية مصير الحلف . ومن دواعي السخرية ان زيجات قادة بوير احمد الاستراتيجية تؤدي الى نتائج سلبية في الغالب . والنقاط الانفة الذكر يمكن ان تعرض بأفضل وجه عندما نقوم بدراسة مكانة المراة من « الاولاد » الاشراف عند بوير احمد الذين يصطفى منهم ورائيا الزعماء الثانويون Kad Khodas والزعماء الاعلـــى « الخان » Khan

المراة بين النخبـــة Women Among the Elite

يحتفظ الذكور من بدو بوير احمد بسبق خلافة المناصب السياسية ممـــا يعكس الايديولوجية السائدة في الشرق الاوسط والتي تدعو للخلافة في تسلسل الاب . ولكن التمسك الشديد بهذا المبدأ العام يفرط في تبسيط وتشويش بعض المظاهر الديناميكية للسياسة القبلية cf. & chwartz: 1966

ومما يثير التناقض انه في داخل الانظمة الاجتماعية التي يسيطر عليهـــا الرجل كخلافة الاب للمناصب القيادية ، والزواج الخارجي لتقوية او تجديـــد الاحلاف ، وتعدد الزوجات ، نجد ان للمراة مركز قوة ونفوذا في ميدان السياسة القبلية والاقليمية . وهذه الانظمة الاجتماعية الثلاثة تشكل نظاما استرجاعيا يدب فيه النشاط على اثر وفاة احد الزعماء الذين لهم مركز متوارث والذي ينتج عنه فـــراغ في القـــوة . وبسبب عدم تواجد انظمة واضحة للخلافة اظهـــار المنافسة المكبوتة بين الاقرباء من ناحية الاب الى حيز الوجود - cf. Burling, 1974 وبعد فترة متغيرة تتميز بالمناورات المسعورة للنيل من المنصب ، وبالنزاعـــات الحزبية الشديدة والاغتيالات تتلاشى الخلافات حول الخلافة وتظهر الشخصية القيادية التي تخلف المنصب . ولكن من الجدير بالذكر ان مركز الام الاجتماعي يلعب دورا هاما في انتصار المتنافس وحصوله على الخلافة . وفي العادة ولكن ليس دائما يكون لقوة المركز الاجتماعي علاقة مباشرة بحجم الدعم السياسي الخارجي

واعتراف التنافس من الاقرباء في ناحية الاب بقيادة الفائز هو اعتراف بقصورهم عن الاستمرار في هذا التنافس اكثر منه بشرعية مطالبته للخلافة . ولذلك فان احتمال الانقلاب عليه يوما ما يظل قائما . ولهذا السبب الوجيه يشعر الفائز بالخلافة دائما بعدم الطمأنينة في مركزه وهذا يؤدي الى نوعين من ردود الفعل التي تصل احيانا الى جنون الخوف والارتياب : اولا تصفية تامة لجميع من يشكل خطرا عليه في محاولة لا جدوى منها للحصول على النتيجة المطلوبة وثانيا اقامة وتوطيد اكبر عدد ممكن من الاحلاف القوية خارج نطاق « الاولاد » الذي ينتمي اليه .

وللاجراء الوقائي الاخير اهميته في نقاشنا الحالي ، فتبادل الزيجات بين « اولاد » الزعامة غير القرابي هو التعبير الخارجي عن هذه الاحلاف . وبينما تقام الاحلاف المضادة من قبل الاقرباء من ناحية الاب او على صعيد السياسة القبلية نجد ان من في الحكم يدرك حتمية وضرورة تطويع الحلفاء . وفي بعض الاحيان نجده يلجأ الى اقامة الروابط الزوجية مع العامة من ابناء قسم قبيلته كما سبق وذكرنا تلك الحالة انفا مع ان ذلك امر يتجنبه الجميع عادة .

وخلال الاعوام الاولى من الحكم يكون القائد المحنك قد اقام شبكة متداخلة من روابط المصاهرة في جميع انحاء القبيلة . واذا تفحصنا سلالة نسب كل خان Khan عند بدو بوير احمد واهمهم خودا كرم خان وشكرالله خان وعبدالله خان نجد ست زوجات او اكثر تم زواجهن من « اولاد » الزعامة في القبائل المجاورة وان عدة رؤساء (خان) قد تزوجوا من عائلات ثرية وعائلات ذات نفوذ من بهبهان ، المركز الاداري والسوق التجاري الاقليمي الهام .

وكما يتوقع ، تشكل الزوجات التركيب الهرمي للمراكز الاجتماعية . والمراة التي تتمتع باكبر احترام وقوة هي في العادة ابنة او اخت الخان . وقليل من الزعماء الثانويين يحدثون انقلابا سياسيا بتزوجهم من نساءلهن مثل هذه المراكز . واغلبية زوجات الزعماء الثانويين هم من اولاد من نفس المستوى الاجتماعي للزعيم الثانوي وفي حالة او حالتين من العامة . لكن اولاد الزعيم من امراة من العامة لا يحق لهم خلافة المناصب القيادية . وحالما يبلغ الابن سن « ركوب الخيل وحمل البندقية » تبدا الام عملية طويلة للحصول على « افضل » مكانة عند زوجها وزمرته . وهذه المكانة قد لا تعني اكثر من ان يتاح له الانضمام الى صحبة الزعيم اكثر من الابناء الاخرين . ولكن حيث لا توجد نظم ثابتة للخلافة يعني هذا السلوك الحاذق من جانب الزوجة الارتقاء بذلك الابن الى درجة تفضيلية . ويعني ذلك ، نفس الوقت التقليل من خطر الاغتيال المحتمل من قبل الابناء الاخرين الناقمين او قرابة الام . وحسب قول احد الرؤساء Khan الذي تم عزله من منصبه ، طالما لم يعرف من هو الذي وقع عليه الاختيار لخلافة

الزعيم فان حلبة المنافسة السلمية نسبيا تظل مفتوحة امام جميع المتنافسين على المنصب . لكن حالما يقع الاختيار على الخليفة تغلق حلبة المنافسة ولكن تفتح من جديد فقط عندما يتم اغتيال الخلف وكثيرا ما يتطلب ذلك خلع الرئيس نفسه لانه ملزم ادبيا بدافع الشرف ان ينتقم لموت ابنه » .

ولا يمكن التعرف على مدى تعقيد هذه المعضلة البنائية الا اذا اخذنا امرا مهما بعين الاعتبار وهو ان القائد عند بدو بوير احمد ميال لعقد ست زيجات سياسية على الاقل خلال مدة حياته . وكلما زاد شأن واهمية المنصب كلما تعقدت خيوط الولاء وكلما اشتد الصراع مرارة بين الاخوة غير الاشقاء وامهاتهم . أما الدعم الخارجي وما يتضمنه من الدعم العسكري فيأتي بشكل رئيسي من اخوال الولد اي اخوة الام والذين بدورهم يتوقعون الولاء المطلق من ابن الاخت Kharza لتجنب نفور حلفائه وغضب زوجاته يحرص القائد عند بدو بوير احمد على عدم الافصاح عمن وقع عليه الاختيار كخليفة . ولكن على ما يظهر ان الرموز التي تشير الى من وقع عليه الاختيار كافية الوضوح . وهذا يبدو جليا من عدد القادة الضئيل الذين ماتوا موتا طبيعيا .

وتاريخ بوير احمد مليء بحوادث قتل الاخ Fratricid وقتل الاب Patricide او قتل الابن Filicide واشهر تلك الحوادث هي حملة خودا كرم خان على احد ابنائه . فبدافع الغيرة من اخوته قتل الابن عددا من اخوته قبل ان يقتله أبوه في النهاية . اما خودا كرم خان نفسه فقد قتله اثنان من ابنائه ظلوا على قيد الحياة . أما القتل عن طريق السم فيقال بانه من خصوصيات المرأة بدون استثناء . ويخبر الرواة عن ثلاث حوادث قتل القادة فيها من قبل الزوجات عن طريق السم جميعها ترتبط حول الخلافة .

وفي كل هذا تحتل المرأة كزوجة وام واخت مكانا مركزيا تنسف من خلاله ثلاثة انواع من النشاط في محاولتها الطويلة لبسط قوتها . فهي تجتذب اولاد المؤيدين والانصار من صفوف صحبة القائد عن طريق اغراقهم بالهدايا السخية ووعدهم بمكافآت اخرى بالمستقبل . ثانيا هي ترشد الابن وتخطط وتصبغ الاستراتيجيات له معتمدة بذلك على المعلومات التي استقصاها جواسيسها عن الزوجات الاخريات . وثالثا هي تقوم بالمحافظة على الاتصال الوثيق باقربائها عن طريق الاصدقاء الموثوق بهم والخدم الذين يعملون كمراسلين . اما فعالية دورها هذا فيعتمد بشكل رئيسي على دقة المعلومات التي تردها ونهائيا على تقييمها للوضع العام .

كما سبق وذكرت فان النصر الاولي على المتنافسين لا يعني بالضرورة ضمانة على التحديات لسلطات القائد في المستقبل . وبقدر اعتماده على يقظة واحتراس امه ينبغي عليه ان يعتبرها النقطة المركزية في حياته السياسية وكما

تجتذب المؤيدين لزوجها ضد اقربائه فانها تقوم على حشد الدعم لابنها ضد جميع الاخرين ومن ضمنهم الاب نفسه . ويستمر اعتماد القائد على الام القوية والمحنكة سياسيا طالما هي على قيد الحياة . وتفخر تقريبا كل قبيلة في كوجيلويه بعدد من النساء الاسطوريات من هذا النوع او الدؤة Shirzan وعلى سبيل المثال كانت خانم بيبي والدة ملك منصور خان رئيس قبيلة البشتي Bashti الحالي (قبيلة اخرى في كوجيلويه) تتمتع بقدر عظيم من القوة والسلطة . فهي حكمت القبيلة باسم ابنها لمدة عشرين عاما بعد موت زوجها وامتد نفوذها الى القبائل الاخرى وحتى الحكومة . ويتفق الرواة على وجه العموم بان بدونها لم يكن باستطاعة الابن الصمود امام المتنافسين من الاقرباء .52 .(Bavar 1946

وباختصار فالقائد الذي تراكمت عليه « الديون » السياسية من جراء زواجه من عدة زوجات بغرض المحافظة على منصبه يواجه في النهاية الحقيقية المرة بانه لا يستطيع دفع القسط الاكبر من « ديونه » هذه . والذي بدأ كخطوة سياسية محنكة لكسب قوة اكبر على منافسيه يتحول الى معضلة يصعب حلها في اغلب الاحيان .

اما دور المراة التي تنحدر من النخبة الاجتماعية فهو ليس اقل شأنا في المجال الاقتصادي . فاهميتها في هذا الحقل لا تنتج ، عن اشتراكها المباشر في النشاطات الانتاجية بل عن اداراتها وسيطرتها على تخصيص موارد ضخمة . فالدعم الاقتصادي للقياديين عند بدو بوير احمد ، كما عند المجتمعات الرعوية الاخرى في جنوب غربي ايران يعتمد بدون استثناء على الضرائب والتبرعات الطوعية في شكل حيوانات وحبوب تجمع سنويا من القبيلة (Fazel: 1977) وتتولى زوجات رئيس القبيلة الاكبر سنا او شأنا تساندها مجموعة من الخدم في هذه المهمة وتقوم على توزيع كميات كبيرة من تلك الحيوانات والحبوب ويعاد توزيع قسم كبير من تلك الموارد على عدد كبير من مستخدمي وحرس الرئيس . وتخصص الحصة الاخرى للولائم التي تقام في المناسبات اللازمة المختلفة والتي يدعى اليها المئات وتستمر عدة ايام . ويباع جزء لتجارة المدينة بعض شراء بعض السلع التي لا تنتجها القبيلة . والمراة لا الرجل هي التي تقوم باتمام تلك المهمات واتخاذ القرارات في هذا الشأن فرئيس القبيلة يعتبر هذه الامور المنزلية التافهة اقل شأنا من أن يوليها اهتمامه .

ولا يسع المرا الا ان يغالي في تقديره لاهمية السيطرة على موارد واموال القبيلة . فالتحكم في الموارد الاقتصادية وتوزيعها استراتيجيا يؤثر ايضا في زيادة عدد الموالين للرئيس . فسوء الادارة المتعمد وتحويل اتجاه الاموال يقللان من مقدرة الرئيس على التقيد في المدأ الاولي للقيادة وهو الكرم . وكما يضعف الامتناع عن تقديم تلك الموارد من ـ لطة القائد فان حسن ادارة وتوزيع

تلك الموارد يزيد من قوة دعم وعدد الموالين . وبايجاز فان هذا الجهاز التوزيعي والذي تسيطر عليه المراة ما هو الا مقياس النجاح السياسي الذي يحرزه قائد ما .

وضع نساء القبيلة في ظل التغيرات الداخلية :

THE STATUS OF TRIBES WOMEN UNDER EXTERNAL CHANGE

في الجزء المتبقي من هذا النقاش سأقوم بدراسة تأثير التغير والتحديث على المراة عند بدو بوير احمد . فقد بدأ تاريخ العلاقات بين الحكومة المركزيـــــة والمجتمعات القبلية في هذه المنطقة والمناطق الايرانية الاخرى منذ حوالي ٤٥ ــ ٥٠ سنة Fazil: 1973 وللتسهيل سأقسم هذه الفترة على ثلاثة مراحل ، كـل ونتائجها الخاصة على المراة .

بدأت المرحلة الاولى في نهاية العشرينات من القرن الحالي والتي اتسمت بنشاط وطني مكثف في ايران شهدت اثناءه المجتمعات القبيلة اضطهادا سياسياكبيرا وظروفا اقتصادية عصيبة . ففي محاولاتها الجادة لبناء دولة مركزية اعتبرت السلطات الادرية القبائل ورؤساءها من العوائق الرئيسة امام عملية التركيز .

أما « الاولاد » القياديون في القبائل الرئيسة في هذه المنطقة فقاموا بدورهم في بذل الجهود الرامية لتوحيد صفوفهم ازاء القوى الخارجية والتجأوا الـى الاستراتيجية التي تتمتع بقداسة القدم وهي زواج وتزويج النساء . وازداد معدل هذه الاحلاف زيادة كبيرة فازدادت نسبة زيجات القياديين بين القبائل المختلفة في هذه المنطقة بدرجة كبيرة ما بين ١٩٢٥ ــ ١٩٣٠ . اذ بلغت اثنتا عشرة زيجة تقريبا اكثر من الاعوام الخمسة السابقة . ولكن لم ينتج عن تلك الاحلاف الا اتحاد ضعيف البنية لم يكن بمقدوره الوقوف امام الجيوش المنظمة الحديثة للدولة . وتبقى هناك حقيقة واحدة هي ان بعض نساء الطبقة العليا على الاقل قامت باداء وظيفة حيوية تجاوزت السياسة القبلية والاقليمية .

وفي الفترة الثانية التي امتدت من ١٩٣٠ ــ ١٩٤٢ ولمنع قيام اتحاد قـوى البنية تم اعتقال ونفي عدد من القادة المهمين عقب ذلك حظر على هجرة البـدو السنوية والتي كانت بمثابة الخطوة الاولى تجاه الاستيطان المفروض . ولمدة عقد كامل تقريبا كانت المراة في العائلات القيادية بالاضافة الى ادارة املاك زوجها المنفي او المعتقل بمثابة رمز للاستمرارية . واثناء الفوضى العامة التي عقبت غزو ايران (دولة محايدة) من قبل قوى الحلفاء عاد رؤساء القبائل الى قبائلهم واستؤنفت الهجرة لكل قواها من جديد .

أما المرحلة الثالثة والحالية فبدأت في اوائل الستينات من هذا القرن والتي ادخلت فيها تغيرات بنيوية جذرية على الحياة القبلية وشملت تلك التغيرات حسب التركيب الزمني اولا : الغاء الضرائب القبلية التي اضعفت من اساس مركـز القيادة الاقتصادية ، ثانيا تم الغاء منصب الخان او الرئاسة المركزية رسميا .

ثالثا ، الاصلاح الزراعي الذي احدث تغيرات سياسية واقتصادية بعيدة المدى وعاد رؤساء القبائل الى الرحيل عن مواطنهم من جديد وتولت النساء امرة املاكهم والوصاية على الاحداث .

وبالرغم من ان المرأة لم تعد تقوم بمهماتها التقليدية الا انها تتمتع بقدر كبير من النفوذ والاحترام ويظهر ذلك جليا من الاحترام والمراعاة التي تتسم بها معاملة السلطات المركزية لها . وحيث تسود الريبة والشك علاقات السلطات مع الاعضاء الذكور في العائلات القيادية القبلية فقد اصبحت زوجاتهم قناة الاتصال الوحيدة مع الادارة الاقليمية خاصة بما يتعلق بموضوع النزاعات حول الملكية والاراضي . وبسبب شعورها بالحصانة النسبية قامت المرأة بهذه الوظيفة بشجاعة وبأس .

ومن الواضح ان عزل (الخانات) Khans وما رافق ذلك من تغيرات كان له تأثيره السلبي على قوة وسلطة المرأة التقليدية . واكثر شأنا من ذلك فقد خلقت الادارة الفعلية في الاقاليم حلبة جديدة ابطلت ضرورة تشكيل الاحلاف واعاقتها بالقوة حيث ان الزيجات بين اعضاء الصفوة في المجتمعات البدوية اصبحت تقتضي موافقة الجهات الرسمية ، وبالتالي نتج عن ذلك انخفاض في الزيجات الخارجية على وجه العموم وصاحب ذلك ارتفاع كبير في نسبة الزيجات من داخل « الاولاد » .

أما فيما يتعلق بالدور التقليدي للمرأة العادية فقد كانت اثار الجو السياسي الجديد معدومة او ضئيلة . اما التغيرات الاخرى واهمها امكانية التعليم الابتدائي والثانوي في القبيلة ومتابعة الدراسة في مراكز تدريب المعلمين الحكومية في المدينة تستحدث في الجيل القادم سلسلة من التغيرات في التنظيم الاقتصادي سؤال كثير من العلاقات الاجتماعية .

الخلاصة والنتيجة .

لقد قمت في هذا البحث بتقييم المركز الاجتماعي والسياسي للمرأة في مجتمع بوير احمد الذي بينت نشاطاتها في الميادين المختلفة والتي يمكن تلخيصها كالتالي :

أ ـــ تحتل المرأة عند بوير احمد مكانة سائدة في الاقتصاد البيتي ، فان سيطرتها التي تكاد ان تكون كاملة على الانتاج وتخصيص الموارد الاقتصادية عززت من قوتها وسلطاتها في ميدان الاسرة الخاص .

ب ـــ روابط القرابة والمصالح المشتركة وعلاقات العمل التعاقدية بين الاسر في المخيم البدوي قادت الى تطوير علاقات حميمة وغير رسمية بين النساء .

اما شبكة التوافق والولاء فجعلت من التعبير علنيا عن قوة وسلطة المراة في البيت امرا ممكنا وهذا الانتقال بين ميادين النشاط الخاصة والعامة سهل الوصول الى معلومات حيوية واستراتيجية .جـ ــ انمقدار القوةوالسلطة والهية التي تتمتع بها المراة في القبيلة يتكفأ مع مركزها الاجتماعي . وتستمد المراة المنتمية الى الصفوة الحاكمة قوتها من مصدرين مختلفين : **الاول** يتأصل في مؤسسات تعدد الزوجات، حق خلافة المناصب لنسل الاب ، والزيجات الخارجية التي من شأنها ان تزيد من عدد الحلفاء ــ كلها تتضمن سيطرة الرجل . المصدر **الثاني** هو سيطرة المراة على تخصيص الكميات الكبيرة من الثروة التي تجمع على شكل ضرائب طوال العام . ويمكن التلاعب والتحكم في هذين المجالين لاحداث النجاح او الفشل السياسي للرئيس . د ــ احدثت جهود التحديث الاخيرة للادارة الايرانية تغيرات عميقة في بنية القيادة وبحكم ظروف الدور التقليدي للمراة في الطبقات العليا .

ويمكن الان التعميم بان قوة وسلطة المراة في مجتمع بوير احمد هي مستقلة تماما عن حق الوراثة الرسمية للملكية والمنصب ، وان هذه القوة مبنية على مبدأين متداخلين : ١ ــ دور المراة المركزي في انتاج السلع ليس للاستهلاك الخاص فحسب بل للمقايضة في السوق وللضيافة والضرائب القبلية . ٢ ــ ادارة ومراقبة تخصيص السلع والمواد التي تستخدم كمهر وللدعم الاقتصادي الدعم الاقتصادي للقيادين . وبأختصار فان مكانة المراة المرموقة وقوتها في اتخاذ القرارات في هذا المجتمع تستمد من الاهمية الاجتماعية لدورها الاقتصادي والتخصيص .

وحيث ان معالم الاقتصاد والتنظيم الاجتماعي التي قدمتها هنا تبدو مشابهة ومنتشرة انتشارا واسعا في مجتمعات جبال زاغروس الرعوية وبالتحديد الكرد واللور والبختياري . فمن المعقول ان نستنتج ان المراة في هذه المجتمعات ايضا تتمتع بدرجة كبيرة من القوة والسلطة التي تمتد ما وراء حواجز الاسرة لكن الفوارق الثقافية ربما تنعكس في اساليب التفاعل المختلفة بين الميادين الخاصة والعامة . ويمكن فحص الاستنتاجات التي خرجنا بها من دراسة مجتمع بوير احمد كفرضيات في هذه المجتمعات الرعوية الاخرى في الشرق الاوسط .

ويمكن الاستفادة من تركيز هذا البحث على مدى اشتراك المراة في نشاطات السعي وراء موارد الرزق ، على مدى اهمية تجاوز دور المراة الاقتصادي حدود الميادين الخاصة ، واخيرا على التدابير والاستراتيجيات الثقافية التي تتم من خلالها المراة وتتحكم وتبسط نفوذها على تركيب القوة الرسمية في الميادين العامة

ملاحظات

(١) هذه نسخة منقحة من البحث الذي قدمته اثناء حلقة دراسية اقامها قسم الانثروبولوجيا في جامعة ميتشجان ، ان اربور ، ٢٢ــ٣ــ١٩٧٦ . واود هنا

ان اعبر عن خالص شكري لزملائي لوسيل كابلان ، دافيد لاندى وفردريك جاست (جامعة ماساتشوستس — بواشنطن) لملاحظاتهم وانتقاداتهم التي ابدوها على باني اتحمل مسؤولية هذا البحث كلية .

(٢) الاضافة الى مشكلة الفصل العملية فان مارتين وفورهيس 352 :1975 يعرضان اسبابا اخرى لندرة الابحاث التي اجريت عن دور المراة في المجتمعات الرعوية : « ربما يرجع هذا الانحياز الى سيطرة الذكر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الشائعة بين الرعويين الامر الذي يجعل دور المراة موضع اهتمام اقل بالنسبة للانثروبولوجيين . وربما قساوة الحياة الرعوية هي التي اثنت الانثروبولوجيين من النساء عن القيام بدراسات اثنوغرافية عن دور المراة » .

(٣) اجري هذا البحث الحقلي في جنوب غربي ايران من حزيران ١٩٦٨ الى يناير ١٩٧٠ . وكان المعهد الوطني للصحة الفعلية قد مول هذا البحث بأكمله .

(٤) سبق الادارة التي اقيمت في عام ١٩٦٠ تاريخ حافل بالنزاعات الطويلة والمريرة بين قبائل كوجيلوية الست سادتها المنافسة الشديدة على السيطرة والموارد وللحصول على المعلومات عن تاريخ القيادة والسياسة هناك اقتضى الامر قضاء مدة طويلة عند جيران بدو بوير احمد . اما البيانات المقارنة عن الاقتصاد المنزلي ونشاطات المراة فقد جمعت اثناء تلك الزيارات . وقد قدم بحث انشار نادري عن باهماى كوجيلوية (١٩٦٨) ثروة اضافية من المعلومات .

(٥) اعتمادا على عينة من ٥٠ حالة سجلت اثناء الدراسة الميدانية حدد سن الزواج للرجل بـ ١٨ عاما وللمراة بـ ١٣ عاما تقريبا . تسبق في بعض الاحيان صلاحية الزواج سن البلوغ ولكن في هذه الحالات (تمثل نسبة ٥٠٪) يؤجل الدخول على المراة حتى بعد فترة الحيض الاولى .

(٦) لقد جرت العادة ان نفرق بين القوة والسلطة . ووفقا لتعريف كسلر (Kass elr1976 - 54) العام والقوة هي ... القدرة على جعل الاخرين يمثلون امام رغبات الشخص والسلطة هي ... تشريع القوة من قبل المجتمع » . ولكنها تضيف : عدد ضئيل من النساء يتمتع بهذه السلطة اللواتي يتمتعن بها يجدن انها مقصورة على الميدان المنزلي او الخاص ».

(٧) ان رواية بارت Barth عن بدو الباصري Basseri بالاضافة الى بيانات ميدانية جمعها الكاتب تدعم الفكرة القائلة ان هناك ترابطا وثيقا بين التنظيم الاقتصادي لبدو الباصري وكذلك لبدو الاخرين في جنوب غربي ايران . وهذه تكون اساس نقاشنا هنا وفي بحث اخر (فاضل وافشار نادرى ١٩٧٦) .

REFERENCES CITED

1 – **AFSHAR-NADERI, N.**
Il-e-Bahmei. Institute of Social Studies and Research. Iran : Tehran University Press 1968.

2 – **ASWAD, B. C.**
Key and peripheral roles of noble women in a Middle Eastern Plains village. Anthropological Quarterly 40 : 1 : 139—152 1967.

3 – **BARTH, FREDRIK**
Father's brother's daugther marriage in Kurdistan. Southestern Journal of Anthropology, 10 : 1 : 164 — 171 1954.

4 – The land use pattern of migratory tribes of south Persia. Norsk Geografisk Tidsskrift 17 : 1—11 1959.

5 – Nomads of south Persia : the Basseri tribe of the Khamseh confederacy. New York : Humanities Press 1961.

6 – **BAVAR, MAHMOOD**
Kuhgiluyeh va ilat-e-an (Kuhgiluyeh and its tribes). Iran : Gachsaran 1946.

7 – **BURLING, ROBIES**
The passage of power : studies in political succession. New York : Academic press 1974.

8 – **CHINAS, B. L.**
The Isthmus Zapotecs : women's role in cultural context. New York : 1973 Holt, Rinehart and Winston.

9 – **FAZEL, G. REZA**
THE ENCAPSULATION OF NOMADIC SOCIETIES IN IRAN. IN THE DESERT AND THE SOWN : NOMADS IN THE WIDER SOCIETY. Cynthia Nelson, ed. Berkeley : Institute of International Studies, University of California 1973.

10 – ECONOMIC BASES OF POLITICAL LEADERSHIP AMONG PASTORAL NOMADS : THE CASE of the Boyr Ahmad. JOURNAL OF IRANIAN STUDIES. (In press) 1977.